القصص

قصة واقعية

الغـــريب ...

« نالت هذه القصة جائزة قدرها ١٠٠ جنيه فى مسابقة القصص الواقعية فى مجلة «True Story» الانجليزية »

نقلها عن الانجليزية
أحمد فتحى مرسى

لا أعلم ما الذى جعلنى أشعر بالخوف والوحدة بعد أن امتطى فرانك صهوة جواده ومضى فى سبيله ظهر أحد أيام الأحد ... لقد كان علىّ أن أمكث مع طفلى العزيزين أياما وأياما وحيدين فى مزرعتنا بين تلك المروج الواسعة ، لم يساورنى خلالها مثل ما ساورنى ذلك اليوم . . وربما كانت الوحدة تخيف بعض النساء ؛ بيد أننى قضيت فى هذه الجهة ما يقرب من عامين بعيدة عن العالم منفردة عن المجتمع ، فضلاً عن أننى نلت قسطا من التعليم جعلنى أنبذ ما تدعيه النساء من خرافات وأباطيل ... كان هناك ما يقرب من العشرين ميلا بيننا وبين أقرب جار لنا ؛ ولقد كان فى تناثر المزارع على هذا الشكل مغنم للصوص ورجال العصابات ، فكان الانسان يقضى أياما طوالا دون أن يرى فى هذه الناحية وجها لانسان ، اللهم إلا أحد رعاة البقر يبحث عن قطيعه الممزق ويجمع أشتات ماشيته المتفرقة ، ولكنى كثيرا ما قضيت مع فرانك الشهور الطويلة دون أن يقع بصرنا على إنسان ما

* * *

ولقد كانت مصاحبة طفلى العزيزين تجعلنى سعيدة قريرة العين . وكان أكبرهما فى الثانية من عمره ويدعى بوبى ؛ وأما فيل الصغير فقد كان عمره لا يزيد على بضعة أشهر ، ولكنه برغم ذلك كان طفلا هادئا مريحا

ولقد يتساءل البعض : لماذا اخترنا هذه البقعة الموحشة لنقضى فيها ميعة صبانا وزهرة شبابنا ؟ فأجيب : منذ حوالى أربع سنوات عند ما تزوجت من فرانك ، كان يشغل منصباً فى أحد البنوك فى مدينة ولتون فيل على مسير خمسة وثلاثين ميلا من مزرعتنا ؛ وكان قد اقتصد قليلا من المال مدة اشتغاله فى المصرف . ولم يلبث فرانك طويلا فى المصرف بعد زواجنا ، فقد أصبح المصرف فى غنى عن عمله لضيق أعماله ، فأخذ يبحث عن عمل ولكن دون جدوى ... وأخيرا وجدنا أنفسنا وليس معنا إلا قليل مما اقتصدناه . وكان فرانك قد درس هذه المنطقة مليا مدة اشتغاله فى المصرف ، وكانت تحوى الكثير من المزارع التى تصلح لتربية الماشية وزراعة بعض الحاصلات الصيفية

وفى ركن قصىّ من تلك الأصقاع كانت تقع مزرعة جميلة فيها منزل ريفى بديع الموقع بسيط التأثيث ، وبها بئر طيبة المورد عذبة الماء ، وحول المنزل قطعة مسورة من الأرض يخيل إلى أنها كانت حديقة فيما مضى . وأخذنا الفرح بهذه المزرعة ، فاشتريناها وبدأنا عملنا فيها

وكان كلانا فى ضحوة شبابه وربيع حياته يتمتع بصحة جيدة وبنية قوية . وكان فرانك لا يعرف الكثير من أحوال المزارع وإدارتها فلازمنا الفشل فى أول الأمر - شأن كل من يبدأ عملا لم يمارسه من قبل - ولكن أدركتنا عناية الله فذللنا كل ما قابلنا من العقبات

ولد لنا (بوبى) فى مدينة ولتون فيل ، وأما (فيل) فقد ولد فى مزرعة مرى وذر على بعد عشرين ميلا منا . ولقد كانت السيدة مرى وذر نعم الأم الحنون البرة مدة إقامتى عندها

* * *

ومضت الأيام تتبع الأيام والشهور تقفو أثر الشهور ، ونحن سعيدان بهذه الحياة الهادئة على رغم بعدنا عن العالم وانفرادنا عن المجتمع ، إلى أن كان يوم زارنا فيه جار لنا يدعى جيبون ، يطلب مساعدة فرانك فى إصلاح قطعة من الأرض اشتراها أخيرا . فلما اعتذر

له فرانك بأنه ليس لديه جواد، فضلا عن أنه لديه من الأعمال ما يشغله عن ممارسة غيرها، قال غاضباً:

— هذا شيء لا يحتمل! من أين لي أن أجد رجلا آخر في هذه الناحية القفرة؟ سأعطيك كل ما تطلب من الأجر نظير ترك أعمالك، فضلا عن أني سأعوضك جواداً خيرا من جوادك

وبعد نقاش طويل قبل فرانك ما عرضه عليه الجار على أن يدعه يعود إلى المزرعة في أيام السبت والأحد لانجاز أعماله الهامة. وعلى هذا أصبحت أقضي جل الأسبوع وحيدة إلا من طفلين لا يستطيع أكبرهما أن ينطق. ولكني كنت أعزي نفسي بأن العمل يستغرق أسابيع يعود بعدها فرانك ومعه المال والجواد

* * *

ولا أكون مبالغة إذا قلت إننا لم نشعر في حياتنا بسرور قدر ما شعرنا به تلك الليلة عند ما عاد فرانك للمرة الأولى يحمل أجرة الأسبوع الأول، فقد خيل الينا أننا في حلم عندما نثر النقود على المائدة؛ وليس هذا عجيباً، فقد كان كلانا لم ير النقود من زمن غير قليل. قال فرانك:

— أظن أنه ليس في الامكان السفر إلى ولتون ڤيل لايداعها في المصرف قبل أن أنتهي من مساعدة جيبون، وستكون هنا في مأمن. فقلت:

— إذن دعنا نخبئها في مكان ما

— حسن! ثم وضع النقود في كيس صغير وأعطاها إياي قائلاً:

— ضعيها تحت وعاء الدقيق يا عزيزتي... فاذا داخلك الشك يوماً في أحد يحوم حول هذا المكان فاحفري لها في الأرض

وفي مساء الجمعة التالية زاد قدر ما عندنا من النقود بما أضافه اليها فرانك من أجره الثاني

* * *

وفي صبيحة السبت نهض فرانك مبكراً وأخذ يعمل في المزرعة بجد ونشاط — كعادته في سائر أيام السبت والأحد — حتى إذا كان ظهر الأحد خرج ليسرج جواده ويمضي إلى عمله عند جيبون... ولسبب ما داخلني شعور غريب هذه المرة، فقد كنت أريد من أعماق نفسي ألا يذهب وألا يتركني هذه المرة. ولما ضمني ليودعني لم أجد ما أقوله له غير هذه الكلمات:

«لا تذهب يا فرانك... لا تتركني هذه المرة يا عزيزي» والحقيقة أنني كنت أشعر بشعور خفي، وبدافع من صميم قلبي يدفعني إلى استبقائه بجانبي. ولكنه ابتسم قائلاً:

— تشجعي يا عزيزتي... سأعود قريباً

ثم انطلق الجواد كالسهم وأنا واقفة أتابعه بنظري وهو يختفي في ظلام من الغبار

* * *

استيقظت في الرابعة من فجر اليوم التالي، لأنه كان يروق لي أن أنجز أعمالي في الصباح الباكر قبل أن يشتد وهج الشمس في سماء الصيف الصافية ويحمرّ قيظها، فأخرجت الماشية من حظائرها وأوقدت النيران في الموقد، ثم عدت إلى المنزل لأغذي الأطفال، وألقيت وأنا أصعد الدرج نظرة خاطفة على الطريق الذي مضى فيه فرانك أمس. ولشد ما كانت دهشتي عند ما أبصرت من بعيد شبحاً سائراً على قدميه يقترب رويداً رويداً من المزرعة؛ وقد عجبت من ذلك أشد العجب، فهذه أول مرة أرى فيها شخصاً يجوب هذي السهول المترامية سيراً على الأقدام. أسرعت إلى المنزل ووقفت في النافذة وأنا أفكر فيمن يكون ذلك الشخص وما مأربه؟ أهو صاحب مزرعة من اللواتي حولنا يطلب مساعدة؟ ولكن هذا لا يمكن، فكل منهم يملك جوادا على الأقل إن لم يكن يملك مركبة. إذن فهذا الرجل غريب عن الناحية

ولكن لماذا يأتي الغريب إلى هنا؟ ربما ضل الطريق وأخطأ الجهة التي يقصدها! ولكنه لا يمكن أن يصل الى هذه الجهة المنفردة دون أن يدرك أنه أخطأ الطريق... كل هذه الأفكار كانت تساورني وأنا واقفة في النافذة أرقب الرجل وهو يقترب:

— ترى ماذا يفعل ذلك الرجل لو علم أني وحيدة في ذلك المنزل؟ وماذا يفعل لو عرف شيئاً عن النقود؟

وأخيراً قلت لنفسي: «حسن. ما دام فرانك أخذ دوره وعمل بجد حتى حصل على هذه النقود، يجب أن آخذ دوري في الدفاع عنها» وأسرعت إلى «مسدسي» وكان محشوا، وأيقظت الأطفال حتى لا يزعجهم إطلاق النار. وكان الرجل قد وقف على بعد خمسين خطوة من المنزل يقلب الطرف في الحديقة والدار؛ وبدا لي وجهه مخيفاً مرعباً وملابسه قديمة رثة. على أنه لم يدهشني قط عندما أخرج مسدسه من جيبه ومشى صوب الباب لأني

كنت أتوقع ذلك بين لحظة وأخرى .... انتظرت حتى أصبح على بعد خطوات من الباب ثم دفعت الباب بقدمى فأصبحت أمامه وجهاً لوجه

* * *

— مكانك وإلا ألهبت رأسك !

فوقف الرجل مبهوتاً ، ثم أردفت على عجل :

— والآن ماذا تريد ؟

— سيدتى ! ما أنا إلا رجل فقير جائع ؛ أريد قطعة من الخبز أسد بها رمق ، أو أى عمل عندكم أعيش منه ... ثم تابع كلامه وقد رأى الشك فى عينى :

— إننى أمين يا سيدتى ؛ لا تسيئى بى الظن

— شكراً لك ! إن زوجى قد قام بكل الأعمال ، وليس لدى ما أعطيك إياه

— لقد قضيت يا سيدتى يومين سائراً . يعلم الله أنى لم أذق فى خلالها شيئاً قط ....

وأيقنت من نبراته أنه صادق فى كلامه برغم ما داخلنى فيه من شك . وقد رأيت أن من الغباء أن أدعه يعمل عندنا ونحن لا نعرف أصله ، ولكنى لم أعدم شيئاً من العطف على رجل لم يذق الطعام من يومين ؛ فقلت له وأنا ما أزال قابضة على المسدس :

— إن ورائى على المائدة وعاء من اللبن وقطعتين من الخبز خذهما وامض فى سبيلك .. فنظر لحظة إلى المسدس قبل أن يجد فى نفسه الجرأة الكافية على الدخول ، ثم جمع أشتات نفسه ودخل وحمل الطعام ثم خرج متمتما بكلمات الشكر

ومضيت فى عملى فنسيت ذلك الحادث . وكانت الشمس قد ارتفعت فى السماء . فجلست مع بوبى لنتناول الفطور فى هدوء وصمت . وفجأة تذكرت أننى لم أجمع بيض الدجاج هذا الصباح ، وكانت عادتى أن أجمعه فى الصباح الباكر قبل أن تعبث به زواحف القفر . فلما بلغت آخر مجاثم الدجاج طرق سمعى فحيح حاد صادر من الحطب الهشيم الملقى على جوانب المجثم ، فعرفت الصوت لساعته وإن كنت لم أسمعه فى هذه الجهة من قبل ، فهلع قلبى وأسرعت بالعودة ، إلا أننى لم أكد أدير وجهى حتى شعرت باللدغة فى قدمى اليمنى

لقد كانت عضة أفعى سوداء كبيرة . وقد جمدت فى مكانى لمجرد ذكرها قبل أن تلمحها عيناى المضطربتان وهى تزحف بين الهشيم

وأخيراً بلغت المنزل أجر قدمى ورائى وأنا ألهث من التعب ، ومزقت الحذاء سريعاً فبدا أثر النابين عميقاً ظاهراً ، وكنت أجهل تماماً ما سأفعل وأنا على قاب قوسين من الموت ... فجعلت أجهد ذاكرتى حتى أصل إلى ما قاله لى فرانك عن علاج مثل هذه الحالة . وأخيرا وجدت ضالتى المنشودة . لقد قال لى : يجب أن تربط الرجل من فوق اللدغة بقليل حتى لا يسرى السم مع الدماء ، ثم تعالج الإصابة « ببرمنجانات البوتاس » ... وسرعان ما مزقت قطعة من القماش من غطاء المائدة وربطت بها الرجل من فوق اللدغة بقليل ثم قمت أبحث عن الدواء

ولكنى تذكرت فجأة أنه لم يبق عندنا منه شىء ، فقد استنفدته عن آخره فى تطبيب الدجاج فى الربيع الماضى ونسيت أن أطلب من فرانك أن يشترى بدله

عدت إلى المقعد فى ذهول وأغمضت عينى وجعلت أفكر وأفكر ولكن دون جدوى .... كل ذلك والسم آخذ طريقه فى قدمى حتى تصلبت عضلاتها .... ماذا أفعل وأنا وحيدة مع طفلين وهناك عشرات الأميال بينى وبين أقرب نجدة ؟ وإذا قدر لى الموت فما مصير الطفلين البريئين ؟ كانت قدمى تؤلمنى ألماً مبرحاً ولا أعلم إن كان ذلك من السم أم من شدة الرباط ؟

لم يكن أمامى ثمة شىء ينقذ حياتى وحياة الأطفال إلا أن أحاول أن أذهب معهم إلى (مرى وذر) . فربما أتمكن من إدراكها قبل فوات الوقت إذا تركت للجواد العنان ... فقمت أتحامل على نفسى وعلى الحائط ؛ ولكن قبل أن أدرك الباب تذكرت شيئاً آخر جعلنى أكاد أسقط على الأرض ... لقد أخذ فرانك الجواد ولسنا نملك غيره . شعرت بأن الدم يكاد يفيض من وجهى ، وأنا أعود إلى المقعد فى ذهول ... أأصحب الطفلين وأمضى سائرة على الأقدام ؟ ولكن هذا معناه ساعات وساعات دون أن نصل الى وجهتنا ... قمت ثانية لأحمل (ثيل) ولكنى عدت فتذكرت أن قدمى بوبى الصغيرتين لا تحتملان السير أكثر من ميل أو ميل ونصف ... إذن سأضطر الى حمل الطفلين فى الطريق ، وسأبذل من الجهد ما يجعل الدم ينشط والسم يسرى فتكون النهاية المحتمة الأليمة : طفلان فى القفر فى يد القدر بجانب أم ميتة

يا إلهى ! ماذا أفعل وهذا الموت المحقق يسير فى عروقى ، وعن قريب أصير فى عداد الأموات ... ولكن الطفلان

ما مصيرها ؟ الموت دون شك .. وإذا كان لا بد من الموت فلم لا أسرع حتى أخلص من عذاب النفس الممض وعذاب الجسم المبرح ؟ ... لم لا أسرع بالقضاء على نفسي وعلى الطفلين حتى نستريح جميعاً ؟ . . . خففت قليلاً من وطأة الرباط فلم تعد ترجى منه فائدة ، وتناولت قلماً وورقة من المكتب ثم جلست أكتب لفرانك ظهر الاثنين :

عزيزي فرانك :

لقد لدغتني أفعي سامة كبيرة .. ولم أجد لها علاجاً ناجعاً ولا يمكنني أن أعيش أكثر من بضع ساعات . أما الطفلان فلا أظنهما يلبثان على قيد الحياة الى حين حضورك . لذلك سأفعل الأمر الوحيد الذي يمكنني أن أفعله في هذه الحالة فأريح نفسي والطفلين من العذاب الأليم . وأتمنى لك حياة طويلة سعيدة ؟

عزيزتك

روز ماري

ووضعت الورقة على المائدة ثم تناولت المسدس ، واقتربت من طفلي فيل وكان مستغرقاً في نومه فركعت بجانبه ثم طبعت على جبينه قبلة حارة وصوبت «المسدس» الى رأسه بيد مرتعشة ، ثم أغمضت عيني لأطلق النار . . . .

— بحق السماء ماذا تفعلين ياسيدتي . . . ؟

اضطرب « المسدس » في يدي وتلفت إلى مصدر الصوت في جزع فاذا الرجل الغريب الذي رأيته في الصباح واقفاً بالباب ينظر الي تارة والى المسدس أخرى . . ثم تقدم أخيراً فقبض على المسدس من يدي وألقاه على المائدة ، ثم تابع كلامه قائلاً — أتقدمين على قتل هذا الطفل البريء ؟

— نعم أقدم على ذلك

— أمجنونة أنت ؟

— كلا . . . لقد لدغتني أفعي سوداء سامة وأدركت أن الموت من نصيبي وأيقنت أن الطفل سيموت جوعاً ففضلت أن نموت سوياً

— أفعي سوداء ! قالها وتقدم الي في سرعة فرفعني من مكاني وأجلسني على المقعد ثم أخرج من جيبه سكيناً حاداً رسم بها دائرة حول أثر النابين ، ثم أخذ يضغط الجرح بشدة حتى سالت الدماء وفاضت على جوانبه . . . ثم نهض مسرعاً وجذب قضيباً من الحديد كان ملقى على المائدة ، ثم سأل :

— أين الموقد ؟

— وراءك الى اليمين . فأسرع إليه ووضع القضيب في النار الى أن احمر طرفه ثم عاد اليّ قائلاً :

— يعز عليّ أن أفعل ما أنا مقدم عليه ، ولكن هذا هو العلاج الوحيد . ولما انتهى من كيّ الجرح أحضر لي جرعة من الماء . ثم تبع ذلك صمت طويل قطعه أخيراً بقوله :

— لقد توسمت فيك الشجاعة هذا الصباح يا سيدتي . وقد رأيتها الآن رأى العين ؛ وأظن أنك ستشعرين بألم مبرح بضعة أيام يزول بعدها كل شيء . ورانت على الغرفة فترة أخرى من الصمت ثم قال أخيراً في هدوء وتؤدة :

— لا يمكنني على ما أظن أن أمضي وأتركك على ما أنت عليه . . . ثم أردف باسماً :

— إنه ليبدو عجباً أن أحضر الى هنا رغبة في الاستيلاء على أموال زوجك وقتلك إذا دعت الحال ، فاذا بي أساعدك وأسهر عليك وأعنى بمرضك كما لو كنت صديقاً حميا !

* * *

وأظن أن آخر شيء يمكنني أن أذكره قبل أن يأخذني الاغماء هو صورة الغريب في يده وعاء اللبن .وهو ذاهب لحلب البقرة وبوبي يقفز حوله في سرور . أما فيل فقد كان مستغرقاً في سباته ، وكانت الشمس قد آذنت بالغروب . . . ثم أظلم المكان في عينيّ ولم أشعر بما يجري حولي ، اللهم إلا أشباحاً تتراقص ، وأيدياً تلوّح ، وأصواتاً تدوي . . .

حينما أفقت من الاغماء كان الوقت ظهراً والسجُف مرخاة على النوافذ والغرفة خالية إلا مني ومن بوبي الذي كان جالساً يأكل في أحد الأركان في سرور جعلني أشعر بمثله

— أظنك تشعرين الآن ببعض التحسن يا سيدتي . . . كان ذلك صوت الرجل الغريب ، فتلفت فاذا به واقف بجانب السرير ينظر الي في حنان وعطف . فسألته :

— في أي يوم نحن الآن ؟

— الأربعاء يا سيدتي

* * *

وفي مساء الجمعة وكان قد ثاب الي بعض صحتي ونشاطي ؛ وكان بوبي وفيل قد أخذتهما سنة من النوم ، قال لي الغريب :

— في أي وقت تتوقعين حضور زوجك يا سيدتي ؟

— إنه يصل عادة بعد التاسعة بقليل

— إذن يجب عليّ أن أذهب ، ولكني لن أتركك حتى أسمع وقع حوافر جواده

— ولكن لماذا ؟ قد يرغب فرانك في رؤيتك ليقول لك شيئاً

— شكراً ، إني أعلم ما سيقوله لي

— إذن دعني أمنحك قليلاً من المال ، وإنه لشيء تافه بجانب ما تكبدته لانقاذي وإنقاذ الطفلين . . ثم قمت لأحضر النقود ، ولكنه اعترض سبيلي قائلاً :

— أرجوك الجلوس يا سيدتي — لقد كانت النقود في متناول يدي طول أيام الأسبوع ، ولكني لم أمسها ولن أمسها . . . ! ثم خيم على الغرفة صمت طويل قطعه أخيراً وقع حوافر جواد قادم في الطريق ، فقام الرجل وسار نحو الباب في خطوات متزنة ثم اختفى بين طيات الظلام

* * *

قصصت على فرانك القصة فما انتهيت منها حتى ابتدر الباب باحثاً عن الرجل ، ولكني استوقفته وأخبرته أن من العسير أن يعثر عليه في هذا الظلام الحالك ، فرجع آسفاً . ومنذ ذلك الحين ونحن نتمنى لو تتاح لنا فرصة نشكر فيها ذلك الغريب ونوليه أضعاف جميله لنا ؟

أحمد فتحي مرسي

الرســالة

تدخل عامها الخامس في أول يناير ومعها :

الروايـــة

وهي مجلة للقصص العالي والسمر الرفيع ؛ تصدرها إدارة الرسالة في ثمانين صفحة

تعتمد في الغالب على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربي في القصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والسير . وسيكون دستورها : الجمال في الأسلوب ، والحسن في الاختيار ، والنبل في الغرض ؛ فترضي الذوق كما ترضي الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب

اشتراك الرواية المؤقت

تصدر الرواية مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه . لذلك سيكون بدل اشتراكها ثلاثين قرشاً في مصر والسودان ، وخمسين قرشاً في الخارج

اشتراك الرسالة المخفض

كل من يسدد اشتراك الرسالة (كاملاً) قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه الرواية مجاناً ، وللمعلمين الالزاميين وطلاب العلم فوق ذلك أن يؤدوا الاشتراك على ستة أقساط متتابعة ، وأن يكون لهم الحق بعدها في كتاب من مطبوعات (لجنة التأليف والترجمة والنشر) لا يقل عن عشرة قروش ولا يزيد على خمسة عشر ، (وأجرة البريد على المشترك) ، وستنشر الرسالة قائمة بالكتب المختارة

(تنبيه) رسم البريد للخارج مضاعف على الرواية لكبر حجمها ، لذلك سيكون اشتراك الامتياز في شهر يناير للبلاد العربية تسعين قرشاً بدل ثمانين .